# Manifestation of (Basra & South) as a domesticated place in the poetry of Abdulkarim Radhi Jafar

Reasercher : Ghufran Bakir Ali
The University of Basrah at Qurna / College of Education
E-mail: gbkir93@gmail.com

Prof. Dr. Mohammed Jawad Habeb
The University of Basrah at Qurna / College of Education
E-mail: Muhammd.jawad@uobasrah.edu.iq

## Abstract:

The place is considered one of the most important components of literary work ،As there is no text outside of the border of place ،And the poet Abdulkarim Radhi Jafar was fond of place in his poetry and literature criticism together ،And so the research tried to detect the beautifulness of place in his poetry and especially the domesticated and loved place to the heart of poet ،And the poet was obsessed with the love of his hometown Basrah specially and the south generally ،That his soul affinity and found safety gates for his soul and also bestow to it religious and spiritual side as it's the land of childhood ،innocence and grant.

**Key words:** Place ،familiarity ،south ،palm.

# تجليات (البصرة والجنوب) مكاناً أليفاً فيشعر عبد الكريم راضي جعفر(*)

الباحثة : غفران بكر علي أ.د. محمد جواد حبيب البدراني

جامعة البصرة / كلية التربية / القرنة

E-mail: gbkir93@gmail.com E-mail: Muhammd.jawad@uobasrah.edu.iq

**الملخص:**

يعد المكان من أهم مكونات العمل الأدبي، إذ لا نص خارج حدود المكان، وقد كان الشاعر عبد الكريم راضي جعفر من المولعين بالمكان في شعره ونقده معاً، ولذلك حاول البحث الكشف عن جماليات المكان في شعره وبخاصة المكان الأليف المحبب إلى قلب الشاعر، وقد كان الشاعر مهووساً بحب مدينته البصرة بخاصة وبجنوب العراق بصورة عامة، الذي تماهى مع روحه ووجد فيه بوابة الأمان بالنسبة له كما أسبغ عليه جانباً دينياً وروحياً كونه أرض الطفولة والبراءة والعطاء.

**الكلمات المفتاحية:** المكان، الألفة ، الجنوب، النخلة.

* بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة : **شعرية المكان في شعر عبد الكريم راضي جعفر .**

**توطئة نظرية :**

مما لاشك فيه أن المكان بالغ الأهمية في أي عمل أدبي، بوصفه المسرح الذي تجري فيه الأحداث، ومن هنا تأتي أهمية المكان بوصفه عنصراً مهماً من عناصر العمل الأدبي ذلك((أن العمل الأدبي حين يفتقد المكانيّة فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته))[١]. فالمكان في العمل الإبداعي (( يثير إحساساً بالمواطنة وإحساساً آخر بالزمن وبالمحلية حتى لتحسبه الكيان الذي لا يحدث شيءٌ بدونه))[٢] وقد نال المكان الحظوة في الدراسات النقدية التي تناولت الأعمال الأدبية فقد((أصبح المكان مفتاحاً من مفاتيح استراتيجية القراءة بالنسبة للخطاب النقدي، ومنطقة رخوة يلج منها القارئ إلى تضاريس النص بقصد تفكيكه واستنطاقه، والقبض على جماليات النص المختلفة))[٣].

ومن هنا تتجلى أهمية المكان في النص الشعري، فالشاعر إنسان قبل كل شيء يتأثر بما حوله ومن المؤكد أن المكان ((يؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه. فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي . ويحمل المكان في طيّاته قيماً تنتج من التنظيم المعماري، كما تنتج من التوظيف الاجتماعي؛ فيفرض كل مكان سلوكاً خاصاً على الناس الذين يلجؤُون إليه. والطريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات خاصة))[٤] كما أن الوعي بالمكان لا يتم (( إلا من خلال تحويل الصورة المادية إلى صورة حسية بالغة صور تفرز لغتها وتركيبها وخصائصها عبر ترشيح متبادل بينها وبين وعي الكاتب))[٥]

ويعد المكان الأليف من أهم أنواع الأماكن، ففيه تتجلى رغبة الشاعر في الكشف عن تعلقه بالمكان، فالشعور النابع من الذات الإنسانية بألفة المكان وتقبله هو الداعم والمحرك الأساس للعملية الأدبية الإبداعية ، وفي العملية الإبداعية ينعكس ذلك الشعور الإنساني على النص والدلالات الموحية بداخله، فيتولد لدينا الإحساس بألفة المكان من خلال اللغة المستخدمة والصورة المصوغة ومدى انسجامها في إظهار صورة خيالية تشع بالألفة؛ لأن عنصر الخيال له دور مهم في النص الأدبي في إيضاح معنى الألفة ؛ حيث ((تنبثق من ردة فعل الخيال الممتزج في العاطفة اتجاه المكان المدرك ))[٦] فالإنسان كائن اجتماعي يتفاعل مع المكان، لوجود علاقة عميقة ومؤثره تربط بين المكان وبين الأشخاص من خلال إيجاد دعائم الراحة والاستقرار والأمن فيه، لذلك ((يتميز الإنسان عن غيره بأنه يعيش في مجال اجتماعي يتأثر به ويؤثر فيه))[٧]

وأنّ كانت الطبيعة قد حكمت على جميع الأشياء أن تتغير وتتبدل وتختلف من حين إلى حين؛ فإن المكان – هو الآخر – تطرأ عليه تغيرات كثيرة ، كما تنعكس هذه التغيرات على نظرتنا النفسية إلى المكان نفسه

فقد يكون الدار مثلا في ضمن الأماكن المألوفة في وقت مضى، ولكنه في زمن الحاضر تحول إلى مكان غير أليف، فالدار التي كان يسكنها الشاعر مع أولاده وزوجته، والتي شهدت ذكريات حياته المختلفة

قد تتحول إلى مكان موحش بعد رحيلهم، وقد يتشاءم الشاعر من هذا المكان فيصير بالنسبة له مكانًا معاديًا لا يتذكر فيه غير الموت والفناء، وقد تتفاوت ألفة المكان وعدم ألفته بين الناس، فالمدرسة مكان أليف لكل طالب مجتهد متفوق، عاش فيها أجمل الأوقات ويتذكرها دائمًا بكل خير، ولكن المدرسة – نفسها – مكان معادٍ للطالب المشاغب والطالب غير المجتهد الذي لم يجد فيها غير الفشل، وهكذا فالمكان الأليف هو ((كل مكان عشنا فيه وشعرنا بالدفء والحماية بحيث يشكل هذا المكان مادة لذكرياتنا))[٨]فالأماكن التي نجد فيها الراحة النفسية والسلام والطمأنينة ، تحمل سمة الألفة والمحبة في نفس الإنسان، فتحدث حالة من الانسجام والارتباط بينها وبين ساكنيها، والأماكن الأليفة كثيرة، منها البيت، وهو أهم أنواع الأماكن الأليفة وأكثرها تعلقًا بالشخصية ماضيها وحاضرها ،واقعها وخيالها

ويركز باشلار على البيت بوصفه من أكثر الأماكن ألفة في نظرة فيقول: ((حين نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه ، وبينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى، ننخرط في ذلك الدفء الأصلي، في تلك المادة لفردوسنا المادي. هذا هو المناخ الذي يعيش الإنسان المحمي في داخله ))[٩]

فالبيت في رأي باشلار مصدر الأمان والمكان الذي ينطق بالألفة والحماية من الخارج المعادي فهو الجذر الذي يتشكل فيه خيال الإنسان ويمارس فيه حياته مقترنة بالدفء والحماية. كما أننا لا نحدد المكان الأليف بالبيت فقط ، بل يمكن القول إن البيت قد يكون من الأماكن المعادية في نفس الإنسان لا يشعر فيه بالأمن والحماية فيشكل سمة النفور والكراهية منه فيكون بذلك من الأماكن الطاردة غير الأليفة ، ذلك أن ألفة المكان وأثرته تجعل الرائين ((يمتزجون به، امتزاجاً قد يصل حد الاتحاد النفسي الكامل، والحلول المتبادل بين كينونتي الرائي والمكان ، بما يجعل المكان قريناً معادلاً لهم، أو تجلياً من تجليات الذات))[١٠]ومن ذلك نستنتج أن المكان الأليف هو المكان الذي يشعر فيه الإنسان بالنقاء الروحي والألفة والأمان، كما هو مرتبط بشعور الإنسان فيه ،وهذا ما تناوله الكثير من الدارسين، وسنحاول أن نقف عند عدد من الأماكن الأليفة في شعر الدكتور: عبد الكريم راضي جعفر

**جنوب العراق:**

ظل الشاعر عبد الكريم يتغنى بالعراق وطنه ومنبع أحلامه ، بوصفه مكاناً أليفاً عنده، وهو مكان واقعي ومن المعروف أن المكان الواقعي ((يتيح لنا القبض على دلالاته من خلال ما يرجع إليه عبر الوظيفة الإبهامية للمكان الفني، استناداً إلى علامات لغوية أو قرائن سياقية ظاهرة أو مضمرة))[١١]

فأول ما يطالعنا من كلماته تعبر عن العراق– وهو المكان الأليف إلى قلبه وعقله وحنينه الدائم إليه– كلمة (الجنوب) فالشاعر من جنوب العراق (البصرة ) وقد أثر فيه الجنوب تأثيراً كبيراً حتى أنه يعد جنوب العراق هو موئل حبه ومنتهى أمله وجنته التي يلجأ إليها كلما عصف به الزمن أو هزته الأحداث . ومن

ذلك أنه سمى أحد دواوينه (ارتفاعات الشفق الجنوبي ) نسبة إلى الجنوب الذي طُبع في قلبه وعقله ومخيلته دائمًا

فالعنوان ((يَهبُ النصّ كينونته، بتسميته وإخراجه من فضاء الغُفل إلى فضاء المعلوم، إذ النصُّ لا يكتسب الكينونة ،ويحوزها في "العالم" إلا بالعنونة، هذا الحدث الذي يجعل المكتوب قابلاً للتداول والحياة))[١٢] فقد إحال العنوان إلى اهتمام الشاعر بالمكان الحميمي إلى قلبه، لا كجغرافيا فقط وإنما كعنصر يمارس تأثيره على ذاته ، فهو يعبر من خلاله عن دواخله النفسية سواء أكان مكاناً حقيقيا أم مكانا خياليا فهو ينظر إلى الشفق الجنوبي على أنه يمثل تاريخه وتجربته الحياتية ذلك أن ((المكان يعني بدء تدوين التاريخ الإنساني ، والارتباط الجذري بفعل الكينونة لأداء الطقوس اليومية للعيش وللوجود ولفهم الحقائق الصغيرة لبناء الروح، وللتراكيب المعقدة والخفية لصياغة المشروع الإنساني ضمن الأفعال المبهمة لتنشئة المخيلة وهي تدمج كلية الحياة في صورة مكانية))[١٣] فالشفق الجنوبي له دلالته الخاصة في ذاكرة الشاعر وشعره، إذ إنه يجد فيه ذكريات الطفولة والحب والحنين إلى البصرة وأماكنها؛ التي تمثل صورة العراق لديه لأنها مؤئل طفولته ومدرج صباه، ذلك أن الصلة الطـفولية بشيء تبـقى فاعـلة في النفـس مع الكـبر وتكسب معاني تتخلل أفكار الإنسان، وتصبح رموزاً لتجاربه الجديدة أو ذكرياته ، وتتمثل في هذه العلاقة النقية ... بين الأشياء نقاوة الطفولة وبراءتها وطهرها.

إن شعريّة المكان عند الشاعر عبد الكريم راضي جعفر تعيده إلى ذكريات شبابه وطفولته إلى أماكن البصرة الحميمة التي تعلق بها ورسخت بذاكرته فصار حنينه إلى البصرة بخاصة والجنوب بعامة سمة بارزة في شعره، فيأخذ من طبيعة طقوسها ومعالمها ما ساعده على ((رسم المكان فإذا به كالفنان الذي يختار من الألوان مما يساعده على تنفيذ لوحته الشعرية ويساعد على أن ينقل ما يريد أن يقوله))[١٤]

إن عبد الكريم راضي يجد مكانه الأليف في( الجنوب )الذي حمل ذكريات أحلى أيام عمره الذي شكله ملمحاً بارزا من ملامح شعره فهو يقول:

**يسّاقطُ في عينيهِ نخيلُ جنوبْ**
**ويمامٌ ساكنةَ الخجل البصريّ فغنَّى،**
**وغمامٌ من ماءٍ**
**يضوّعُ فيهِ التمرُ الحوريّ**
**نبضًا مِنْ (هَيْلٍ)، وندًى**
**مِنْ وجدِ (بويبْ) .**
**يا نهرَ (بويبْ)**
**مَنْ هذا الغضُ المزهرُ من نبضِ المحّارْ ؟**
**مَنْ هذا التبريحُ الواقفُ**
**ما بينَ البصرةِ والعشّارْ ؟**[١٥]

إن الحياة التي قادت عبد الكريم راضي جعفر إلي الابتعاد عن الجنوب ألقت بحمولتها الثقيلة وظلالها الداكنة على روحه وجسده فاكتوى بنار الغربة والحنين وظل يستعيد ذكريات الجنوب والبصرة فلا يجدها إلّا قبض ريحٍ ، فهو يشعر بمرارة الفقد حين يستعيد ذكريات أماكن الصبا والشباب فتبرز عاطفته المتأججة تجاه المكان، فالشاعر هنا يستخدم مفردات مكانية تعبر عن تعلقه بذكريات الطفولة، فيذكر الجنوب والبصرة والعشار ولا يكتفي بذلك بل يذكر (بويب) النهر الذي حوله السياب إلى رمز بصري عالمي(( تمكن أن يجعل منه وسيلة شعرية هائلة ،فمن خلاله استطاع أن يمزج الخاص بالعام، فأضحى هذا النهر الصغير رمزا عالمياً ارتبط بالسياب واقترن باسمه ومنحه حياة جديدة متجددة ))[١٦]

لقد استطاع عبد الكريم راضي جعفر الإفادة من تجربة السياب وتوظيفها هنا معززاً حديثه عن المكان الأليف بالإشارة إلى البصرة والعشار والنخيل متعالقه مع النهر (نهر بويب) ((فالنهر بما يوحي به من معاني الحياة، والارتواء الحسّي والروحيّ ، وأسباب الخصب والتجدد، قد يكون معادلاً لصورة الوطن))[١٧] كما أن المتأمل في الأبيات السابقة يجد أن الشاعر عبد الكريم جسد حنينه العارم إلى الجنوب ونهر بويب مشوبا بالذكريات الجميلة التي عاشها في الماضي في أرجاء منطقته ، فالجنوب والبصرة ونهر بويب ماهي إلا عناصر بّرز الشاعر من خلالها تجربته الشعرية والصورة الشعرية المكانية

كما نلاحظ أن الشاعر أراد من خلال هذه الأبيات أن يجسد ثنائية جميلة حاول إيصالها للمتلقي ، وهي ثنائية الماضي المتمثل في الوقوف على هذه الأماكن الحاضنة لمشاعره والمدركة لما يحيط به ،والحاضر المتمثلة باستذكار هذه الأماكن لكي تبقى محفوظة في ذاكرته، بالألفة والأمان لذا نجد أن الشاعر قد عبر عنه بعاطفة صادقة وقوية منبعثة من ذاته المتمسكة بالمكان لتجسد من خلالها المشاعر

الصادقة بالانتماء لهذه الأماكن ؛لأنَّ ((العلاقة بين الإنسان والمكان تذهب في الاتّجاه النّفسيّ مثل ذَهابها في الاتجاه الحسي وتتسم تبعاً لذلك ببعض التجاذب والتفاعل بين الداخل والخارج ))[١٨]

ويذكر الشاعر العراق والجنوب مرة أخرى في قصيدة (يا أيها الفتيان) فيقول:

**يا أيّها العشّاقُ**
**يا مُدجّجون بالعراقِ**
**والهوى،**
**أعلمُ أنّ الملحَ في الجنوبْ**
**سيفقأ الأعينَ منهمُ، ويملأ القلوبْ**
**رعبًا،**
**فتنكفي الشياطينُ على وجوهِها**
**مِنْ غضبةِ الشروقْ**
**ومِنْ أعنّةِ الرعودِ والبروقْ** [١٩].

فهو يرى أن الملح الموجود في جنوب العراق – موطنه – سوف يفقأ عيون الأعداء ويملأ قلوبهم رعبًا، برغم كونه (مجرد ملح) لكنه استمد قوته وعنفوانه وخطورته من (الجنوب).كما جعل الشاعر فتيان (الجنوب) مدججين بحب (العراق)، وهو أقوى سلاح يحملونه في مواجهة الأعداء.

ولعل ما يلفت الانتباه أن الشاعر هنا يتعمد التناص مع رائعة السياب الشهيرة (أنشودة المطر) وبالأخص قوله:

**أَكَادُ أَسْمَعُ العِرَاقَ يذْخرُ الرعودْ**
**ويخزن البروق في السّهولِ والجبالْ ،**[٢٠]

ويبدو ذلك طبيعياً فالشاعر عبد الكريم شديد الأعجاب بالسياب ويبدو ذلك واضحاً لكل من قرأ كتابه (رماد الشعر) الذي هو في الأصل أطروحته للدكتوراه وكتابه (مفهوم الشعر عند السياب) وديوانه الشعري (خطاب الأمير بدر شاكر السياب) ومن الطبيعي أن يوجد هذا التناص والإعجاب. فالشاعران ينتميان إلى مدينة واحدة وبيئة واحدة.

**البصرة:**

لعل قمة ألفه المكان عند الشاعر حين يتحدث عن البصرة والعراق، فالبصرة بالنسبة للشاعر هي موطن الحب والحياة والألفة فهي ((مكان مرئي له أبعاد معينة وصفات خاصة يمكن رؤيتها ولمسها على أرض الواقع، وليس مكاناً من خلق المخيلة))[٢١]ويمكن القول إن البصرة كانت بؤرة المكان الأليف في شعر عبد الكريم راضي جعفر، وتتفرع من خلالها الأماكن الأليفة جميعاً [٢٢]

لكن الشاعر لا يكتفي بنقل المكان بواقعية فقط بل((يحاول أن يفتت جزئيات المكان ويفقدها تماسكها البنائي ثم يعمد إلي تشكل المكان تشكيلاً جديداً لم يكن له من قبل مضيفاً إليه من تجربته الخاصة وقدرته الفنية في الخلق والأبداع))[٢٣]

إن تعلق الشاعر بالمكان يصل إلى حد التشبث به والتوحد معه ؛ ليستمد قوته من الجنوب ويتفاعل مع أهل الجنوب حاملاً إليهم الشوق والهوى

وفي قصيدة (الفطور الأخير) ، يقول الشاعر:

**أولمي لي ..**
**منْ فطورِ الملائكه،**
**فأنا سيدٌ منْ أقاصي الجنوبْ،**
**ومن (سومرٍ) ،ورفٍّ زقورةٍ ..**
**وشَمَتْ فوقَ أهدابِها ..**
**صراطَ الذين اهتدوا آمنينَ**
**اهتدوا في زمان أمينْ.**[٢٤]

يستحضر الشاعر عبد الكريم راضي جعفر المكان في أبياته الشعرية ، ويصور انتمائه لأقاصي الجنوب (القرنة) مسقط رأسه وموطن الصبا والشباب، ويطلب أن ينال وليمة من فطور الملائكة، وهذا المطلب يحق له لأنه سيد من أقاصي الجنوب، كما يذكر أن محبوبته وشمت فوق أهدابها من (سومر) و(رف زقورة)– وهما من مناطق الجنوب– وشمت (صراط الذين اهتدوا آمنين ... اهتدوا في زمان أمين) وهم أهل الجنوب المهتدين الذين يستحقون أن يأكلوا من فطور الملائكة، فهوية الشاعر مرتبطة بمكانة الجنوب وعلاقته به علاقة متجذرة فيه وهي علاقة تملؤها الألفة والدفء التي مثلت المراحل الشعرية الأولى من حياته ، فكان صوته الشعري (( يمثل حالة الارتباط برحم الأرض – الأم ))[٢٥] ، فالجنوب ((هو العنصر الذي يشدنا الحنين إليه ، لأنه في بعض صوره وجزيئياته جزء منا، ومن ثم فَإن هويّته ترتبط

بشكل أو بآخر بعلاقتنا به ، وأهم هذه العلاقات الميلاد والاستقرار والألفة))[٢٦]، فهو وإن قضى الشطر الأخير من حياته في بغداد لكنه ظل جنوبي الهوى بصري الانتماء .

وفي قصيدة (ما قاله طفل المزابل) ،يقول:

**خذوا النفطَ والصولجانْ،**

**وأبقوا اسمي على موطني**

**على نخلةٍ من نخيلِ الجنوبْ !!![٢٧]**

فالطفل الفقير الذي يعيش في المزابل لا يريد من هذا الوطن إلا أن يكتب اسمه على نخلة من نخيل الجنوب؛ فهي التي تكفيه وتؤويه وتجعله يستغني عن الأموال والسلطة (النفط والصولجان) للباذخين والفاسدين والمترعين، فنخلة في الجنوب هي أقصى أمانيه.

والمكان هنا يحمل دلالات مختلفة ، فحديثه عن المكان لا يحمل دلالات مباشرة فحسب لكنه يحاول عبر المكان أن ((يؤدلج العلاقات الإنسانية عندما تحيل تلك العلاقات المكانية إلى إشارة ...تخفي وراءها مقولات معرفية ))[٢٨] وأسرار لا يستطيع البوح بها

والشاعر هنا بحالة نفسية سيئة وهو يعيش حالة الغربة والمرض والقهر فيتقنع بصورة الطفل الذي يجمع رزقه من (المزابل) واصفاً ما يمر به وهو ((يعيش واحدة من لحظات وجوده المؤثرة ، لحظة امتدت عقوداً من التراجع والانحدار، وها هي تصعد إلى الذروة غير المأمولة للحدث، مدوّنة على مشهد الخراب الواسع ))[٢٩] الذي يراه ينمو أطرافه على بلده الحبيب، ولعل هذا النص يحيل بطريقة غير مباشرة إلى قول السيّاب :

**إنمت يا وطني فقبر في مقابرك الكئيبهْ**

**أقصى مناي ٠ وإن سئمت فإن كوخا في الحقول**

**هو ما أريد من الحياة فدى صحاراك الرحيبهْ**

**أرباض لندن والدروب ،ولا أصابتك المصيبهْ[٣٠]**

فارتباط الشاعرين بوطنهما لا حدود لهما وتعلقهما بالعراق واضح في شعرهما .

ثم يفتخر الشاعر بالانتماء إلي هذا الوطن وما يتضمنه من معالم أثرية لها ذكرها في التاريخ قائلاً

**كنت سيّدا في سهلِ**
**(تموزَ)،**
**والزقورةِ،**
**وآثار بابلَ،**
**وفي حلاوة نهْر(خوزٍ)،**
**وفي السدرةِ(السيّدة)،** (٣١)

تنبثق جمالية المكان في هذه القصيدة من خصائصه الذاتية التي تميزه بها عن غيره من الأماكن فحق الشاعر أنّ يفتخر بالانتساب إليه وحملها في داخله مثلما فعل الكثير من الشعراء، والشاعر يستعين بالوصف لتجسيد صورة فنية جمالية مكانية ، من الأشياء الموجودة في المكان وهي من أجمل طرائق التعبير الفني لأنها تعتمد على الانسجام بين لغة الشاعر البسيطة ومعرفته الفذة في الأماكن ((لأن الصورة الفنية تتشكل من الأشياء الموجودة في المكان، فأنها تهيء للمتلقي حالة من المعرفة تتعلق بمظاهر العالم الخارجي المنطبعة في ذاكرته وخبرته وتمكنه في ربط معارفه بالوجود الخارجي (المكان)))(٣٢) كما أن لجوء الشاعر إلى التحديد المكاني في هذه الأبيات أنما جاء لإبراز ارتباطه بتلك الأمكنة واندماجه فيها، بالإضافة إلى محاولة أبراز الجانب الجمالي والتاريخي التي تميزت به هذه الأماكن عن غيرها

فتعلق الشاعر بمكان ولادته (الجنوب) والمكان الذي عاش فيه أجمل سنين عمره فهو بؤرة الألفة والأمل لتي يرتكز عليها الشاعر لإظهار شاعريته الفذة ، فالمكان ((يرتقي بالكائن فيه إلى المستوى الذي يجعله يندمج فيه ، مثلما يُسيرُّ الكائن إلى المكان الذي يوجد فيه شيء من وحدته الخاصة، وهو نوع من تقابل التبادلات بين الأشخاص والأمكنة ))(٣٣)

وكأن الشاعر يحاول استرجاع هذه الأماكن كونها المرآة التي تعكس التفاصيل القديمة العالقة في ذاكرته ، ليقدم لنا لوحة شعرية تعكس مشاعره الوجدانية التي ارتقت بجمالية النص وهي بدورها تكشفت عن خيوط الألفة التي ربطت الشاعر بالمكان. أما في قصيدة (دم القلب أزرق) فيقول:

**قلتُ:**
**أنتَ، أيُّها المُرتجى النازفُ**
**أنتَ .. ها .. أيُّها الواقفُ ..**
**في الندى والنهارْ،**
**إذبحِ القلبَ، وابعثْ دمي،**

**رفّة من أعالي البهارْ**
**أكُنْ نخلةً مِنْ**
**نخيلِ الجنوبِ الرقيقْ.**[٣٤]

**النخلة العراقية :**

يتخذ الشاعر من النخلة مكانًا أليفًا بحكم تواجدها في الجنوب، وقد حملت هذه النخلة كل عناصر الألفة من خضرة ومكان الطفولة والأمل،((فظهرت الصورة متوحدة مع البناء الداخلي للنفس، فشخص الطبيعة وأضفى عليها مضمونًا إنسانيًا ليربط بينها وبين واقعه النفسي وأحاسيسه الخاصة، ويرى فيها ذاتًا تنبض بالحياة وتتجاوب معه))[٣٥]

فالنخلة احتلت مكانا بارزاً في القصيدة العربية منذ الجاهلية وكانت ذات صلة وثيقة بالمرأة وغدت رمزاً للارتباط بالوطن والتعلق بالأرض، فهي تعني التشبث بالأرض والدفاع عنها ورسوخ العلاقة معها رسوخ جذور النخلة[٣٦] ولذلك نجد الشاعر يعبر عن ارتباطه بوطنه واصفاً تشبثه به بالنخلة التي استعارها للتعبير عن الارتباط بالوطن

والجنوب المكان الذي احتضن أحاسيس الشاعر التي كانت تطفح بها النفس من ذكريات وأحلام بسيطة، فلهذا المكان حسّ أصيل وعميق مدفون في قلب الشاعر فهو موطن الألفة والحياة والانتماء الجسدي والنفسي، وعلى الرغم من بعد الشاعر عبد الكريم جسديا عن الجنوب إلا انه كان يحن إليه كثيراً ((بل كان مرتبطا به ارتباطا يمكن أن يقال عنه إنه (ارتباط مشيمي) كارتباط الطفل بمشيمته أمه))[٣٧]

وفي موضع آخر كان الجنوب دافعا للفخر والاعتزاز ، حيث يكون الشاعر في موقف الواصف لأرضه ، فيقول :

**أنا من ترابِ سومرَ ، وبابلَ،**
**والبصرةِ الشاهقة**[٣٨]

فهذه الأبيات تصوّر فاعلية الشاعر وحضوره اللافت الذي عبّر عن نفسه بضمير المتكلم(أنا) ليعبر عن انتمائه إلى البصرة الشاهقة وبالتحديد القرنة مدينة الشاعر مدينة الحب والسلام، فالمكان عنده ((ليس مجرد مسكن يأوي إليه، أو أرض يزرعها،أو مسجد يعتكف فيه. إنما الأمر يتعدى ذلك إلى حد الاندماج والإحساس بكينونته ووجوده منه وإليه))[٣٩] بل أضحى الشاعر متوحداً مع المكان انتماءً وتجذراً

**قدسيته الوطن:**

إن محبة الإنسان للمكان تأتي عادة من ساكني ذلك المكان وهذا واضح في قصيدة(الزلزلة) فحنين الشاعر إلى العراق نابع من الاشتياق الذي يحرك أعماقه، فجسد ذلك المكان بصوره فنية جمالية وحنّ إليه ، ومن ثم حنّ لمن فيه من الأحبة والأهل، كما معلوم أن الحنين لا يكون إلا لمن ألفتهم قلوبنا وتحن عيوننا إلى رؤيتهم، فحنين الشاعر للعراق إنما هو حنين للألفة التي يحملها المكان في نفس الشاعر ، فيقول:

**في طريقي إلى اللهِ،**
**رأيتُ الملائكةْ،**
**يُصلُّونَ على الفتى الوسيمِ العراقْ،**
**ويُسلّمونْ**
**كنتُ منبهراً بنورٍ نبيٍّ؛**(٤٠)

هنا يذكر الشاعر مدى حبه وقدسية وطنه العراق وقربه من قلبه، فهو يشعر بهذه القدسية اتجاه وطنه الذي انعكس عليه في اختياره لفظة "يصلون"، والملائكة " هنا يعبر الوطن عن الهوية و الانتماء من خلال الاستعانة برموز دلالة المكان المقدس داخل النص الشعري وهو بدوره يرفع من قيمة العمل الإبداعي .

فكل شيء له إيحاءاته التي تزيد النص قيمة لدى المتلقي فتأخذه إلى ذلك الجو القدسي الوارد في النص ، ودلالته ومدى تفاعل المكان مع النص. ((فانفتاح المكان على المقدس، يتجه إلى البحث في علاقة التجربة الشعرية في النص المقدس، باعتباره أساسًا دينيّا استلهم علاقة المكان بأحد المكونات الثقافية الأساسية ))(٤١)

فالمكان المقدس يحمل معه شحنة إلى النفس إيجابية إذ تعطيك أمكنة ما شحنات عاطفية عالية لما فيها من قدسية، لذلك ترتاح إليها النفس وتطمئن لمن فيها، وبالتالي يصبح مكاناً للألفة والطمأنينة لمن كان فيه أو يوصف به فوظف الشاعر المكان هنا لغرض المدح والتعظيم لبيان عظمته للمتلقي (٤٢)

فالملائكة هم رمز الصفاء والنقاء ، كما وصف العراق بأنه "الفتى الوسيم" الذى تصلى عليه الملائكة مما يوحى للقارئ بصفاء ونقاء وطنه وسكان هذا الوطن ثم يؤكد الشاعر ذلك بقولة "كنت منبهراً بنور نبي" هنا أئتلف الشاعر مع الوطن وأذاب الحدود الفاصلة بين المكانين( المكان المقدس والوطن ) بل ان تفصيلات وصفه استقاها الشاعر من صورة وحركة المكان ومن يسكنه مما جعل القدرة على إلباسه ثوب الألفه أمرا واضحا((ويتضح أن الرمز الديني يساهم في تشكيل الرؤى الشعرية التي تتجاوز الواقع إلى المتخيل، وتحاول من خلالها تأسيس الجديد التميز ))(٤٣)

ويتجلى عنده (العراق) في ذكر دجلة والفرات، ونخل الجنوب ..، ويقول فيه:

**أُسميكِ زَهْرَ القرنفلِ**

**يا صبوةَ العاشقينْ**

**أسمّيك درّةَ كلّ الخليجْ**

**أسمّيكِ زهوَ الأريجْ .**

**أسميك**

**باسمكِ**

**يا صبوةَ العاشقينْ**

**فيسّاقطُ التمرُ بوحَ مُحبّينَ،**

**فوقَ ربيعِ الفراتينِ، والنخلةِ الفارعةْ .**

**أسمّيكِ باسمِ الزمانِ الجليلْ**

**وباسمِ العراقِ – الفتى – الفارسِ المُستحيلْ** (٤٤)

برع الشاعر في تصوير وطنه العراق بأجمل الصور من خلال اختياره للألفاظ التي تبعث الراحة والألفة في نفس القارئ والمشتقة من مظاهر الطبيعة الخلابة في وطنه، لان الطبيعة من المظاهر التي شكلت حيزا مهما في نفسية الشاعر عبد الكريم راضي جعفر

(( لأنها تلامس شفاف الروح وجوهر التعبير عن طريق جمالية المعنى الكامن في مفردات الشاعر ورمزيته ، فهذه الأرض التي هي وطن الشاعر، المثال الأسمى للجمال بما تحتويه من شجر وماء واريج ، فضلا عن الاهتمام الواضح من خلال تكرار لفظة (اسميك)الدالة على الخصب والنماء لأن ارض الوطن غنية بالفراتين))(٤٥) كما تمثلت كلمة (العراق) لدى الشاعر الكثير من المعاني المتداعية في النفس، فهي الموطن الذي ينتمي إليه، وهي الرمز الذي نسعى خلفه، وهي السلاح الذي نتسلح به في مواجهة أعدائنا، وفي مواجهة ظروفنا، وهي الاسم الذي نستمد منه القوة والثبات، ونستمد منه الفخر والحياة.

**النتائج :-**

توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة يمكن إجمالها بالنقاط التالية :

- استطاع الشاعر عبد الكريم راضي جعفر من خلال تطرقه للمكان الأليف أن يعطينا صورة صادقة ومعبرة عن طبيعة الحياة التي كان يعيشها في مدينته البصرة، ومسقط رأسه بالجنوب، وفي ذلك دلالة واضحة على وعي الشاعر عبد الكريم بالمكان الأليف وعلى سعة أفقه وصدق انتمائه، وولائه لأمكنته التي شكلت المحور البارز في شعره .

- ارتباط أغلب الأحداث في حياة عبد الكريم راضي جعفر بالأماكن التي عاش بها ومرّ بها فشكلت هذه الأماكن سمة الألفة والمحبة في نفس الشاعر ولهذا ظهر التميز والقوة في أبياته الشعرية التي تحاور المكان وتجعل منه بؤرة الألفة والأمان.

***الهوامش:**

١- جماليات المكان، غاستون باشلار:٦.

٢- إشكالية المكان في النص الأدبي:٥.

٣- شعرية المكان في الرواية الجديدة :٦.

٤- مشكلة المكان الفني:٨٣.

٥- شعرية المكان في قص ما بعد الحداثة :٢٨.

٦- المكان ودلالاته في شعر السياب:١٢.

٧- السلوك الأنساني:٢٠١.

٨- البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، الوصف وبناء المكان :٩٩

٩ -جماليات المكان، غاستون باشلار:٣٨

١٠ - إنتاج المكان بين الرؤيا والبنية والدلالة:٣٦.

١١- شعرية المكان في الرواية الجديدة الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً:١٨٦.

١٢- سيمياء العنوان : القوة والدلالة :٣٥٠-٣٥١.

١٣- إشكالية المكان في النص الأدبي:٣٩٥.

١٤- جماليات المكان في الرواية العربية :٩٦.

١٥- ارتفاعات الشفق الجنوبي:٢-٣

١٦- الحركة النقدية حول السياب: ٢٠٠-٢٠١.

١٧ - موتيف النهر والبحر في شعر يحيى السماوي:٥

١٨- فلسفة المكان في الشعر العربي:٢٠

١٩- ارتفاعات الشفق الجنوبي:١٨-١٩.

٢٠- ديوان بدر شاكر السياب:١٢٥/٢.

٢١ - الرواية والمكان :٢٧/١.

٢٢ - للتفصيل في مفهوم البؤرة المكانية ، ينظر: البنية المكانية في القصيدة الحديثة:٢١٥.

٢٣ - شعرية المكان في قص ما بعد الحداثة :١٠٠.

٢٤- أيّها الناسُ: للندى مِعْصَرة:٩٥.

٢٥- المكان في الشعر العربي:٧٧.

٢٦- دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد ١٩٧٠: ٨٧-٨٨.

٢٧- أيّها الناس :للندى مِعْصَرة:١٦٨

٢٨- المكان والزمان في النص الأدبي، الجماليات والرؤيا:٢٢٧.

٢٩- المكان العراقي جدل الكتابة والتجربة:١١.

٣٠- منزل الأقنان ،ديوان بدر شاكر السياب:٨٢/٢.

٣١- خطاب الأمير بدر شاكر :٩.

٣٢- المكان والمنظور الفني في روايات عبد الرحمن منيف:١٢٦.

٣٣- شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية :١٤٠

٣٤- أيّها الناس :للندى مِعْصَرة:١٦٨

٣٥- أنماط الصورة والدلالة النفسية في الشعر العربي الحديث في اليمن :٢٨٢.

٣٦- ينظر: موتيف النخلة والزيتون في شعر سميح القاسم:٩٩.

٣٧- دَلالةُ المكان في شعْر الشَّريف الرّضي:٢٢

٣٨- زهرة البرتقال:٤٩.

٣٩- سلطة المكان في شعر عمر بن بلحد هيبة" ديوان قلب وحجر أنموذجاً":٢٣٧.

٤٠- يقولُ المغنّي:٥٧.

٤١- جماليات المكان في الرواية السعودية من ١٣٩٠حتى١٤٢٣هـ:١٦٣.

٤٢- ينظر: شحنات المكان جدلية التشكيل والتأثير:٤١.

٤٣- جماليات المكان في الرواية السعودية من ١٣٩٠حتى١٤٢٣هـ:١٦٣.

٤٤- ارتفاعات الشفق الجنوبي:١٤.

٤٥- أعمدة الشعر:٥-٦.

***المصادر والمراجع:**

- إشكالية المكان في النص الأدبي: ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ،١٩٨٦م.

- ارتفاعات الشفق الجنوبيّ : عبد الكريم راضي جعفر ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد١٩٨٧

- أنماط الصورة والدلالة النفسية في الشعر العربي الحديث في اليمن : د. خالد علي حسن الغزالي ، مجلة جامعة دمشق ، مجلد٢٧، العدد ١-٢، ٢٠١١.

- إنتاج المكان بين الرؤيا والبنية والدلالة: د. محمد الأسدي ، وزارة الثقافة العراقية ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د.ط ٢٠١٣

- أيّها الناسُ: للندى مِعْصَرة، عبد الكريم راضي جعفر، مؤسسة ثائر العصامي ، بغداد ،ط١ ٢٠١٦.

– أعمدة الشعر السبعة دراسات نقدية في شعر عبد الكريم راضي جعفر وأبحاث في نقده الأدبي جمع وتحقيق وتقديم، د.علياء سعدي عبد الرسول الجبوري، دار الفرات للثقافة والإعلام –العراق –بابل ، بالاشتراك مع دار سما للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط، ٢٠٢٠م

– البنية المكانية في القصيدة الحديثة :ياسين النصيّر، مجلة الآداب، العدد الأول ، يناير ،١٩٨٦.

– البناء الفني في الرواية العربية في العراق، الوصف وبناء المكان، د. شجاع مسلم العاني،ج٢ دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط١، ٢٠٠٠م.

– جماليات المكان : غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع –بيروت – لبنان ، ط٢، ١٩٨٤م.

– جماليات المكان في الرواية العربية :شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دار الفارس النشر والتوزيع ، عمان ،ط١، ١٩٩٤م.

– جماليات المكان في الرواية السعودية من ١٣٩٠حتى ١٤٢٣هـ، : حمد بن سعود البليهد اطروحة دكتوراه، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٢٦ /١٤٢٧هـ.

– الحركة النقدية حول السياب: أ.د. محمد جواد حبيب البدراني ،الدار العربية للموسوعات ،بيروت ،ط١ ٢٠١٣م.

– خطاب الأمير بدر بن شاكر :عبد الكريم راضي جعفر، المركز الثقافي للطباعة والنشر ، بابل الحلة، ط١، ٢٠١٦م.

– دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد ١٩٧٠: جمال مجناح، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج الخضر – باتنة ، ٢٠٠٨-٢٠٠٧م.

– دَلالة المكان في شعْر الشَّريفِ الرَّضي: أ.م حافظ كوزي المنصوري ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، المجلد الخامس، العدد الرابع إنساني، كانون الأول ٢٠٠٧.

– ديوان بدر شاكر السياب : مج٢،دار العودة ، بيروت – لبنان ،٢٠١٦.

– الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي: ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق،ط٢، ٢٠١٠م.

– زهرة البرتقال ،عبد الكريم راضي جعفر ، دار الفراهيدي للنشر،ط١ بغداد، ٢٠١٣.

– السلوك الإنساني: د. انتصار يونس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

– سيمياء العنوان: القوة والدلالة " النمور في اليوم العاشر " لزكريا تامر نموذجاً": خالد حسين حسين إشراف :أ.د. وائل بركات ، مجلة جامعة دمشق ، العدد(٣-٤)، مجلد ٢١، ٢٠٠٥.

– سلطة المكان في شعر " عمر بن بلحمد هيبة " ديوان قلب وحجر أنموذجاً": أ. عمر باحماني مجلة الأثر ، جزائر، العدد ٢٨، ٢٠١٧.

– شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية :د. حسن نجمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١، ٢٠٠٠م.

– شعرية المكان في الرواية الجديدة "الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً: خالد حسين حسين مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ١٤٢١هـ.
-– شحنات المكان جدلية التشكيل والتأثير: ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد،ط١، ٢٠١١م.
– شعرية المكان في قص ما بعد الحداثة ، سكان الهلاك لثامر معيوف انموذجاً ، أ.د. محمد جواد حبيب البدراني، جمان فيصل خليل الطائي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان، ٢٠١٦م.
– فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية: د. حبيب مونسي، اتحاد الكتاب العرب دمشق،٢٠٠١م.
– مشكلة المكان الفني: يوري لوتمان ، ترجمة سيزا قاسم ، مجلة ألف، العدد السادس، ١٩٧٦.
– المكان في الشعر العربي: اعتدال عثمان ، مجلة الأقلام ، من بحوث مهرجان المربد الشعري السادس ، العراق ، ١٩٩٦م.
– المكان والمنظور الفني في روايات عبد الرحمن منيف: مرشد أحمد، دار القلم العربي ، حلب، ١٩٩٨م.
– المكان ودلالاته في شعر السياب: محمد طالب غالب البجاري، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة البصرة ، ١٩٩٨ م.
– المكان العراقي جدل الكتابة والتجربة :لؤي حمزة عباس ، دراسات عراقية ، بغداد ، ط١، ٢٠٠٩م
– موتيف النهر والبحر في شعر يحيى السماوي :مرضية آباد، رسول بلاوي، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد ٢٠، ٢٠١٣م.
– المكان والزمان في النص الأدبي ،الجماليات والرؤيا: أ.د. وليد شاكر نعاس ،تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٤م.
– موتيف النخلة والزيتون في شعر سميح القاسم: كبرى روشنفكر ، مجلة إضاءات نقدية ، العدد (٢٠) كانون الأول ، ٢٠١٥م.
– يقولُ المغنّي: عبد الكريم راضي جعفر، دار الفرات للطباعة والنشر ، بابل ، ط١، ٢٠١٧